موضوع الغلاف

سلام كبير لملاح من سنباط !

عندما بدأ نجم رياض السنباطي يتألق في أفق الموسيقى العربية منذ خمسين عاما . أثناء بداية الطريق . . كتب كاتب كبير حينذاك في إحدى الصحف فقال : إنه ذلك القروي الذي جاء يصارع العمالقة .

وكان من جؤلاء العمالقة عبد الوهاب وزكريا أحمد ومحمد القصبجي وأم كلثوم وأحمد رامي وغيرهم . .

وتأثر السنباطي بمرور هذا القول . . ولكنه لم يتراجع عن طريقه أو خطواته الأولى في عالم الموسيقى العربية . . واستمر بإصرار وكبرياء . . حتى أصبح الملحن الذي تأثر به وجدان الشعوب العربية جمعاء . . وحتى نال أيضا منذ أيام جائزة الدولة التقديرية على ما قدمه لوطنه والموسيقى العربية .

محمد الطويل

رياض السنباطي استحق لقب الملحن لأكثر من . فكان دائما يتألق في القمة مع صوت أم كلثوم . حيث كانت تخلق جوا نفسيا يجوب آفاق صوتها العبقري . يتصل ويحول عليه بناء ودلالة . تستطع منه أعظم الألحان شامخة متألقة .

فلما توقفا الله . ورغم أنه كان قد حقق ذاته في ذلك الوعاء الماسي . فإنه بعد فقده هذه المأساة الصوتية . قام بالتلحين لبعض المطربات . وأراد أن يؤكد ذاته أيضا من خلال اللحن للقصائد فقط . وكان له ذلك . فهو معروف بأنه ملحن قصائدي شامخ . وإن كان بالطبع غناء القصيدة بصوت أم كلثوم إعجازا لا يدانو منه أي صوت أو أداء . كما ذكر ذلك في مناسبات عديدة

التقى أيضا لأول مرة بالصوت الملائكي فيروز في لحنين تتدرب الآن على حفظهما بل تحدى أنه أحيرا عندما لحن له ثلاث قصائد لأحمد رامي وأحمد شوقي وبقية رباعيات الخيام .

والخير العام الذي تعود عليه مختلف تماما منذ سنوات . فبعد وفاة أم كلثوم ذهب أيضا فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ . فكان فراقها إحساسا عاما عند الناس وعند الفنانين كبارا وصغارا . بالفراغ . وإن ظهور صوت باهتة لم كان تأكيدا للفراغ الذي تركاه . فقد كانا من مكونات الجو العام منذ سنوات مضت . . وهنا يشعر رياض السنباطي أحيانا بالوحدة والغربة . فقد كانا من زملائه وإن اختلفت الأعمار . وقد كانا قيمة لا تنسى . والإحساس بالنجاح دائما لا يكون إلا من خلال نجاحات أخرى . . وهذا ما يتاب السنباطي دائما . كما أن صحته أصبحت على غير ما يرام . حيث إنه مصاب بورم تتزعجه نوباته العنيفة من حين لآخر .

ورغم هذا الجدوء العنيف . ومتاع الموسيقى والغناء الصاخب الذي يصم الآذان – بلا أثر يذكر في وجدان الناس – فهو مازال يعطي . فيلحن حاليا للمطربة فيروز وأيضا المطربة مبادة الحاوي . ومازال على هذا الطريق

وفجأة . تلقى خبر استحقاقه للجائزة التقديرية من الدولة . . وانتشله هذه المفاجأة المتوقعة منذ سنوات . . من هذا الجدوء العنيف إلى فرحة اعتف . . سعادة غامرة لما يستحقه منذ

تصوير محمد سامى

سنوات . إحساسى بالعدل الذى نالنى بعد بحث دائب عن هذه الجائزة من السنباطى . وكأنها منزلة لسعيا إليه . ولكن منى ؟ . . حتى استحقها الأسبوع الماضى .

رأيت على النيل . ولم يحاول أيضا الهروب من الصحفيين . والتقيت به . . فرحا سعيدا تخرج معزياته العالية بكثير من الخواطر والتأملات التى بدت تتراحم على لسانه . . فبادرنى قائلا : إنى سعيد جدا . . ليس لاستحقاق الجائزة التقديرية فقط . . إنما لأن الشعب المصرى دائما أصيل ووفى تجاه من يعطيه يديه ويمنحه وصدقه أيا كان . . وأرجو أن ينال الجائزة كل من يستحقها قريبا أيضا وفى المستقبل القريب . . وأعتقد أننى الآن فى حالة إلهام عندما سمعت وقرأت هذا الخبر . لقد بدأت أفكر فى عمل موسيقى أقدمه فى حفل عيد الفن فى أكتوبر القادم . . احتفالا وتقديرا لهذه المناسبة العظيمة . . وهى نصر أكتوبر المظفر . .

بل إنى أشعر بالخواطر الموسيقية بدأت تتوارد وتتدفق وهأنذا مهيأ لأن أبدأ – ربما بعد ساعات أو أيام – فى وضعها حتى تكون معدة فى عيد الفن . .

وبهذه المناسبة فإننى أشكر الرجل الذى يرعى الفن والفنانين والذى يحرص دائما على تقدير الفن الجيد والسعى إليه . . رجل مصر الأول الرئيس أنور السادات . . وإننا لأبد فى عهده أن نرقى بالموسيقى العربية كما ارتقى بنا إلى المحافل الدولية .

وسياسة خارجية حكيمة وداخلية صادقة حساسة ببعض الجماهير التى تلتف دائما حوله تحب وإخلاص وصدق . بل إننى استبشرت خيرا عندما سمعت أن صباحه قد كلف الأستاذ عبد الوهاب والدكتور مصطفى محمود بعمل موسيقى ضخم بمناسبة عيد الفن القادم . فهذا يؤكد قولى بأن الرئيس السادات يسعى دائما للفن ليرفع وأجود . . ليرفع من الموسيقى العربية كما يرفع دائما من شأن بلده . . مصر الحبيبة . .

وانسياب الحديث حول الجوائز التى سبق أن نالها . . فعرفت أن جائزة اليونسكو التى استحقها فى العام قبل الماضى . وقيمتها عشرة آلاف دولار رمزية أيضا . لم يحصل عليها حتى الآن . . وأن هناك مسئولا كبيرا بالإذاعة يحجبها لغرض ما . . لا يعلمه السنباطى . . ويرتفع الرجل خطوات أثناء حديثه المرح . وسرح بذهنه . . غير بعيد عن هذا المجال . . وأخذت فجأة حديثه مسارا آخر . . فكانت كلماته ذات اتجاهات مختلفة . ولكنها تنبع وتصب فى عالم لا ينضب . . الموسيقى والغناء والفن . . حاليا إلى أين يتجه هذا العالم ؟ . . وأين نحن منه الآن ؟ ! تساؤلات كثيرة وإجابات قليلة مرت بذهن هذا العملاق . . وتدفق حديثه منسابا إلى أعماق فكان يسأل ويقول :

ماذا يحدث فى الفن أو بالفن ؟ ! فهناك تيارات غريبة تهب فى عالم الموسيقى والغناء المصرى العربى الأصيل . فنحوم حول كعبة الفن العربى مصر . . التى قدمت للفن العربى العظماء وطه حسين وشوقى وأم كلثوم وعبد الوهاب وكامل الشناوى وإبراهيم ناجى وبيرم التونسى ورائد الموسيقى العربية سيد درويش ومحمود حسن اسماعيل وحافظ إبراهيم وزكريا أحمد والقصبجى وغيرهم من عظماء القرى المصرية . . فكيف نسمح لصعاليك بتطبيع هذه الكعكة الفنية التى بناها هؤلاء وغيرهم . وأحاطها الشعب العربى بالحماية والحب ؟ . . كيف نسمح لأمثال المبح الدح امو أن يفعلوا ذلك . . فهل هذا ضعف أو قصور أو عجز أرشال أولا سلالة أو يأس أو نرجس أو انحدار . . أو ماذا ؟ ! وكيف نسمح لموسيقانا وفننا وذوق جمهورنا أن يهبط إلى هذه الهاوية . . لماذا ؟ . . ولصالح من . . ؟ !

وهذه التيارات الغريبة يقال عنها فن . ويؤسفنى ذلك القول . . بل وإنها تهرج هابط . . تتنازع هذه التيارات فرق كثيرة تسمى نفسها جمعيات غربية أيضا . كأنها تتطور كما يدعون . . كأن اسم الفرقة هو تطوير الموسيقى

بل إنها جمعيات عصبية قليلا هناك فرقة تسمى نفسها الفرقة المصرية . فهل كانت فرقة أم كلثوم غير مصرية أو تركية ؟ ! وآخر يسمى نفسه صاحب الأغنية المصرية الجديدة . . فماذا يعنى بذلك هذا العبقرى الساحر لادعائه هذا القول ؟ فهل كانت مصر تنتظر هذا العبقرى الزمار ؟ . . وهل ستتطور الموسيقى العربية من خلال هذه الفرقة حيث إنها تقدم موسيقى عربية هزيلة . فهى مقلدة بعصبية وجنون كأن موسيقانا هم زار . . فهل الفن أصبح اليوم تقليدا وسرقة وليس إبداعا وخلقا ؟ إن ما يحدث خطر داهم على الفن الأصيل لبلادنا . . بل إنه طمس لشخصيتنا وهويتنا أمام العالم وبين الأمم . . وكيف نتميز موسيقانا عن بقية العالم ؟ . . فلماذا لايكون لنا بابنا من وجداننا وآمالنا والآمنا وآمالنا ليكون عالميا بوطنية ؟ . . إنها بديهية . . ولا فلماذا خصصت الأمم المتحدة جائزة دولية سنوية لكل فنان يحافظ على تراث وطنيه موسيقاه الشعبية . رغم ما يحدث فيها من تطوير ؟ . . ألا يكون هذا دليلا على وجوب تمايز الشعوب عن بعضها فى شئ أو آخر . كالموسيقى والأدب أيضا .

نحن نمر بمرحلة تعمير وبناء ليس للشوارع فقط . إنما للإنسان المصرى أيضا . ونصف هذا الشعب من الأجيال الشابة . . فمن باب أولى تربية هذه الأجيال وجدانيا على الفن العربى الأصيل . . تعميق فيه الانتماء الوطنى . ونحن فى حاجة إليه . وليس التمسك بالفن الوطنى جمودا كما يتصور المخربون فى الفن . فهذه المراصد لن تؤدى بالفن العربى للهاوية . ومع ذلك فانى أحنى احترام الناس إليها . . فماذا تقدم هذه

الفرق ؟ وماذا لانعلن صراحة أنها فرق غربية أقصد نسخا باهتة من الفرق الغربية ؟ علها تغنى السخرية أو انجاه الجمهور للفن الغربى الأصيل ذاته ؟ وفى معظم هذه التيارات المتلاطمة . هناك أمل فى بعض الفرق الأخرى الجديدة التى أتمنى مساندة الدولة لها دائما . . فهى صادقة ومعبرة عن هويتنا الفنية الأصيلة المتميزة . الفرقة الموسيقية العربية بقيادة عبد الحليم نويرة تحافظ وتحيى التراث الموسيقى القومى . . وكذلك الشباب المتفتح يندفع نحوها بحثا عن الأصالة والانتماء والمتعة . حيث يجدها فى هذا التراث الموسيقى . وكذلك فرقة أم كلثوم بقيادة حسين جنيد يتجه إليها الناس متعطشين للوجدان الصادق المعبر عن أحاسيسهم ومشاعرهم العميقة . . وعندما تسافر هذه الفرق للخارج تعرف فى أرقى المسارح مثل ولدورى كارنيجى وفى باريس وألمانيا والدول العربية . حيث إنها تمثل موسيقانا الوطنية فتجذب الأجانب وتنتزع تصفيقهم وإعجابهم . ألا يدل أن هذا تعبير صادق عن احترام الأجانب لنا حيث إننا نقدم لهم متميزا يستمتعون به ويكسب لنا وليس علينا ؟ ! أما الفرق الأخرى فتتجه إلى الشباب بزيف وخداع كأنها موسيقى عربية متطورة . بل إنها أحيانا تسمع السكارى فى الملاهى الليلية . وعندما يسافر البعض منهم لا يستطيع أن يردد ما يقدمه فى مسرح تعريم . إنما يتجه بالملاهى الليلية فى أوربا حيث إنها أوكاره التى لا يستطيع التنفس بعيدا عنها . . وهذه هى الحقيقة فلماذا نخفيها ؟

وإذا كانت هذه الفرق تقدم ما يسمى فرانكو آراب على أساس المزج بين موسيقى الغرب بالموسيقى العربية . فهذا خداع وزيف . ولابد من حذف هذا الفرانكو آراب من القاموس الفنى . فلا يوجد مثيل لهذا فى أية دولة أخرى ؟ فهل هناك فى باريس ، انجيت ، وفى انجلترا ، الجلو انجيت ، وفى أمريكا ، أمريك انجيت ؟ . . إنه فرانكو فوف . . آلات غربية مع كلمات هزيلة . ويطلقون تطويرا . . وتقول وتطلق اصطلاح فرانكو آراب وأحيانا يقال إن هذه الفرق تقوم بتوزيع جديد لموسيقانا . . وهذا خطأ . فهذه الأغان التى توزع لم تخلق لذلك إلا إذا كان ملحنها هو موزعها . وبصراحة أكثر فإن

موسيقانا العربية ليست في حاجة إلى توزيع لأنها أغنى من ذلك . إلا في الأناشيد الوطنية والعسكرية فهذا جائز . فيها . أما الأغاني العاطفية فلا تحتاج لذلك . فقد كانت في أغاني في الشيلا وزعت . فلاحظت من خلال توزيعها وعزفها أن البطولي فقد ولوقاء الله . وأصبح عبارة عن حناجة وخرشة فقط . في حين أن العرب يوزع جملة لحنية قصيرة كالسيمفونية وهذا ما يجب أن يعلمه الموزعون الدارسون حتى لا يفقد البطولي جوهره . فالتوزيع للسيمفونيات والأوبريتات والأعمال الضخمة . أما الأغاني القصيرة فلا تحتاج إلى ذلك . كلحن أغنية للمرحوم عبد الحليم حافظ . فهو لحن صغير كالطفل الحلو أو بنوتة فلا صغير فكيف توزع موسيقاه . فالتوزيع للأعمال الشاملة .

ووسط تيارات تخريب الفن علمت قريبا - صدقة - أن هناك لجنة للرقابة على كلمات الأغاني . وظيفتها إقرارها أو رفضها . وكان ذلك عندما كنت أسجل لأحمد ابن قصيدة لإحدى شركات الاسطوانات بعنوان . أنت . وكان هناك بيت في القصيدة يقول فيه الشاعر : أنت العراق وصلاتي . ويفهم من هذا أن العاشق يسمو بحبيبه روحانيا . فهي محرابه الذي يلجأ إليه . ومع ذلك حذفتها اللجنة منعا للشبهة . فالخير أفضل وقد احترمت رأيها وغيرت الكلمات . ولكن هذا ليس مناسبة غناء أحمد للقصيدة إنما مناسبة وجود هذه اللجنة التي تراقب كلمات الأغاني . فكيف بالعقل يمر عليها كلام يقول . ابنتي لحظة من الزمن أحسن كوز المرام محروق . ؟ ! كيف وماذا تجيز هذه اللجنة مثل هذا الكلام السوقي والمبتذل ؟ فإنني لا أريد اتهام هذه اللجنة بشيء . إلا أنني أبحث عن إجابة حول مزاج هذه اللجنة ورأيها فيما تقرره من مثل هذه الكلمات .

ورغم الحروب التي مرت بمصر . وكان من الطبيعي أن يتحدر الفن تبعا لأزمات هذه الحروب . فإن إبداع الفنانين لم يتوقف .

محمد عبد الوهاب

عبد الحليم حافظ

وكذلك لم يتحدر ذوق الجمهور . فكما تحمل أعباء ومتاعب المراقبة . فإنه أيضا أحد نجوم السمو وجداناته التي الرائل . فإذا لم تتحدر أم كلثوم بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . وكذلك عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وغيرهم من الفنانين . بل كان للفن دور أيضا أثناء حرب أكتوبر العظيمة . فبعد الانتصار وتكريم الفنانين أعظم تقدير على المستوى الرسمي . ثم قبله بقصيرة شاهدة الرئيس السادات للسلام فإن هذا يجب أن يحدو بنا إلى مناجات فنية تقرب على الأقل من مستوى هذه الانتصارات . إنه من المنطق أن تخطو روح المرحلة التي لم يتأثر الفن كثيرا بها . إنها للأسف وللحسرة يتحدر الفن إلى تدريج هابط على أيدي صعاليك تقف الحكومة متكرفة اليدين تتفرج عليهم . لماذا ؟ وأين النقابات الفنية والإعلام والثقافة ؟ . فالأسماء والأصنام والمزورين في عالم الموسيقى كثير . وأين الحكومة ؟ وأين مسئوليتها ؟ أين الفن الجديد يا حكومة ؟ ؟ !

وليس الأمر يقتصر على انحدار الموسيقى فحسب . بل إنه حدوم للقيم الأخلاقية والفنية أيضا في الفن . فهناك نشيد الوطني أو السلام الجمهوري الجديد الذي اختير من احدى رائعة الموسيقى العربية سيد درويش وهو بلادي بلادي . وقد جعلته عشرات المرات رفرات عنه . وللأسف الشديد يتسبب محمد عبد الوهاب ولا يذكر اسم ملحنه الأصيل سيد درويش . فإن قيم الريف الأصيلة والعريقة . وأين الوفاء والصدق . هل مسرح الكذب والغش علنا على روسنا ؟ فلماذا تطمس حق عظمائنا ؟ وكيف يفوت ذلك على المسئولين بالإذاعة ؟ إن عبد الوهاب وضع اللحن الأصلي - توزيعا - في إطار من الجاكيت ولكنه لم يبدعه أو يخلقه . فكيف ينسب إليه ؟ . إنني لا أحترم ذلك ولا أجيزه . فإني مدافع دوما عن سيد درويش بكل جوارحي . وأنا مدافع دوم لقيم تراثنا الأصيل . وأين العلم والأكاديمية التي تتحدر إليه موسيقانا ؟ فالعلم هو التعمق في الفن كما أن الفن قمة العلم . والأكاديمية هو الأعمق جوهر هذا التلحين وحقوقه وإتقان العمل الفني بضمير خالص وليس مزيفا . فأين العلم فيما يحدث . وأين الإيمان في ذلك الانحدار ؟ !

□ □ □

إنني أريد بما قلته التوجيه والإصلاح . فإني أتمنى لهذه الفرق النجاح . متى كانت تعمل على دراسة وترعى وهدف خلق . وهو رفعة الموسيقى العربية وليس لمجرد الكسب المادي . فهذا لصالح مصر . وليست في مطامع وأغراض خاصة من وراء هذا الكلام . إنني سأريح كل من يظن أن السنباطي هو الوحيد الذي يقول هذا الكلام . فسأعتزل الموسيقى قريبا . سأريحهم . وإنني كلام السنباطي . وهو قليل مما يريد الحديث عنه . ولم يبدأ غضبه وسخطه من الحرب التي في عالم الموسيقى العربية . ويعد الانتهاء من أغاني فيروز وفيروز سيعتزل السنباطي الفن . أي أن غضبون شهور قريبة . وإنني لأشك في قدرته على هذا الاعتزال . ومن خاطري أن السنباطي ليس وحده الذي يندفع نحو جزئية التراث للموسيقى العربي . إنما أيضا في بدايات هذا القرن وقف الأب كوللاجيت أثناء انعقاد مؤتمر الموسيقى الشرقية في القاهرة عام ١٩٣٢ . حيث قال : إن الشرقية والتجديد لا يستلزمان حتما هدم القديم . بل نحن نعده جزءا كاملا متماسكا بهيكل الموسيقى العربية القديم . ونريد لهذا الفن الجميل أن يبقى فنا عربيا خالصا . وهكذا فالأذان العربية تضاف للموسيقى العربية أيضا !